الدرس الحادي والأربعون: خُلُقْ شكر نعم الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ ☻ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلَ بَلْدَحٍ - أي واد في طريق التنعيم إلى مكة - قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْوَحْيُ فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سُفْرَةٌ - أي طعام يتخذه المسافر وأكثر ما يحمل في جلد مستدير ولذلك أصبح يطلق لفظ سفرة على ما يوضع فيه الطعام أو عليه - فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ - أي جمع نصب وهو كل ما نصب وعظم من دون الله ♣ وقيل هي حجارة كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام - وَلاَ آكُلُ إِلاَّ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنْ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنْ الأَرْضِ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ إِنْكَارًا لِذَلِكَ - أي منكرا عليهم فعل ذلك - وَإِعْظَامًا لَهُ - أي لله تعالى خالقها - [1].

وهذا مصداقا لقول الله:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(172)**} [البقرة:172].

ونذكر هنا نموذجا براقاً عن الشكر، فعن هشام بن عروة قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في رجله الأكلة فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعها. قال: فقطعت وإنه لصائم فما تضور وجهه.

قال: ودخل أكبر ولده اصطبله فرفسته دابة فقتلته فما سُمع من أبي في ذلك شيء، حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي بنون أربعة

(1) (صحيح) أخرجه (خ) 3614.

فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت فلقد أبقيت ولئن ابتليت طالما عافيت (37).

ويجب أن نتعرف على نعم الله علينا، وألا ننكر هذه النعم، ولنتذكر حال المشركين الذين قال الله فيهم:{يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ الله ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل:83].

ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال، يا أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التى ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها إلا لتشكرها.

وعن مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله ♣ قال في كتابه:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ (7)} [إبراهيم:7]، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه:{اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (10) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ (12)} [نوح:12]، يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

وشُكْر النِّعَم يكون بتسخيرَها في طاعة الله؛ حتى ينال المسلم والمسلمة رضا الله، والشكر هو الثناء على المنعم بما أولاك من معروف وذلك بالقلب واللسان والجوارح، فشكر القلب باستشعار النعمة وأنها من عند الله قال تعالى:{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ الله ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53)} [النحل:53]، وشكر اللسان بحمد الله ♣ والتحدث بنعمه كما قال تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)} [الضحى:11]، وشكر الجوارح باستعمال النعمة في طاعة الله ♣ كما قال الله تعالى:{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(13)} [سبأ:13].

وهذا سليمان عليه الصلاة والسلام لما رأى نعم الله عليه من الملك، وفهم لغة الطير، وحوار النملة مع أمة النمل سأل ربه سبحانه أن يلهمه شكر نعمته عليه؛ قال الله ♣ :{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل:19].

وقال الله عز وجل عن دعاء الولد المؤمن البار بوالديه:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: 15].

وأرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل ☺ أن يدعو في دبر كل صلاة بهذا الدعاء:"اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ -[1].

معاشر الإخوة، النعم التى وهبها الله لعباده لا تقدر بمال، والله سبحانه وتعالى سوف يسألنا جميعا عن هذه النعم يوم القيامة، ولكن من كرم الله تعالى أن التحدث بالنعمة شكر وشكر النعمة من جنس النعمة كأن يحفظ الرجل بصره عن الحرام ويستعمله في التفكر في خلق السماوات والأرض، وكذا شكر من أسدل إليك معروفا، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ☻ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ:"مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرْ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ الله التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ الله شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ -[2].

وشكر النعم بمقابلة الإحسان بالإحسان، والمعروف بالمعروف، فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، وشكر النعمة يكون بالثناء على المنعم ويكون بالقلب بالامتنان لصاحب النعمة والتحدث باللسان عن النعمة واستعمال الجوارح في طاعة الله ♣، قال تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)} [الضحى:11].

(1) (صحيح) أخرجه (د ن ابن خزيمة حب ك) وصححه الألباني في صت 1596.
(2) (حسن صحيح) أخرجه (حم) وقال الألباني صت 976 حسن صحيح.

وَعَنْ أَنَسٍ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لله إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ** - [1].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ☻ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم :**"إِنَّ الله يُحِبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ** - [2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ☺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :**"إِذَا رَأَى أَحَدكُمْ مُبْتَلَى فَقَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلا، كَانَ شَكَرَ تِلْكَ النِّعْمَة** - [3].

الاخوة الفضلاء، للشكر ثلاث فوائد وهي:

1 – **رضا الواحد الأحد**، فإذا رضي الله عنك أسعدك في الدارين.

2 – **كفاية السؤال في الآخرة (سؤال التوبيخ)**، أما سؤال التقرير فلا بد منه.

قال تعالى:**{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}** [التكاثر:8] قال بعض العلماء: والله لتسألن عن الماء البارد، فكيف بمن أخذ الدور والأموال، وكفر بنعم الله؟.

3 – **يُدْعَى لك بخير**، فإن الشاكرين يُدْعَى لهم ممن يحسنون إليهم في ظهر الغيب، ومما يكتسب العبد دعاء الإخوة والخلان (57).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(1) (**صحيح**) أخرجه (ه) وصححه الألباني في ص.ج 5563.
(2) (**حسن**) أخرجه (ت ك) وحسنه الألباني في ص.ج 1887.
(3) (**حسن**) أخرجه (هب) وحسنه الألباني في ص.ج 555.